الأمية في الجزائر
وسبل الحد منها

أ. طاهري لخضر بن العيد، جامعة بسكرة

مقدمة: الأمية ظاهرة اجتماعية تعيق تقدم الأفراد والمجتمعات, وتحتاج إلى اتخاذ عمل جماعي منظم, بغية مواجهتها والتحرر من آثارها الهدامة. ومن أهم أسبابها الخلل الذي أصاب البناء الاجتماعي للمجتمعات، نتيجة للظروف التي عاشتها هذه المجتمعات في فترة الاحتلال الأجنبي لأوطانهم, ورغم كل المحاولات التي اتخذت بعد خروج المحتل إلا أن الخلل ظل موجود, فرغم مرور فترة طويلة على استقلال الدول العربية ومنها الجزائر, إلا أن مجتمعاتنا "لم تتوصل حتى الآن إلى النتيجة التي بلغتها مجتمعات أخرى انطلقت من نفس النقطة"[1], والمشكل لا يكمن في الإمكانيات المادية, فكثير من الدول العربية تعتمد على موارد طبيعية ساقها الله إليها, استطاعت أن تشيد بها البناءات وتستورد بها الأجهزة, إلا أن المشكل ظل قائما, فالخلل "لا يعزى لفقدان الوسائل, وإنما يرجع إلى فقدان الأفكار"[2], فالمجتمع يبنى بالرجال وليس بالوسائل, وإن كانت الوسائل مهمة, ولكن أهميتها تبقى مرتبطة بقدرة الرجال على الإبداع والتفكير, "فقد توصلت اليابان من الإنقاص من جميع مشاكل التخلف بفضل تنظيم معين للمجتمع على قواعد أخلاقية, مما جعله يبلغ مستوى القدرة على مواجهة جميع أعبائه بواسطة وسائل تعد منقوصة على وجه الإجمال إذا قارناه ترقيما بالوسائل التي تقع"[3] في حوزتنا, فالوسائل لا تعد هي العائق بل هي جزء من أفكار الإنسان, فالإنسان هو الثروة الحقيقة لكل مجتمع, وهو ما ينبغي أن يستثمر استثمارا مبنيا على قواعد أخلاقية تنطلق من المجتمع لتعود عليه بالنفع, أما عالم الأشياء فرغم أهميته إلا أنه يأتي في مرتبة بعد مرتبة الإنسان وأخلاقه وأفكاره, وبعد مرتبة المجتمع وتماسكه وتآلفه, وما نجده اليوم هو "ركاما مكدسا من الأشياء المشتتة الفاقدة للتآلف في قليل أو كثير"[4]. فالدول العربية تتكلم بلغة الأرقام عن الأشياء, وكأن الأرقام الكبيرة التي حققتها في ميدان بناء المؤسسات التعليمية, أو غيرها هي ما ينبغي الوصول إليه, ولكن الاهتمام بجوهر العملية الاجتماعية الرامية إلى النمو الحضاري للمجتمع ظل مفقود أو على الأقل دون المستوى, "وهذا ما يفسر لنا كيف أن اليابان نجحت حيث لم يحقق العالم الإسلامي, حتى هذا الحين نصرا حاسما على التخلف, لأن نشاطه قد طبق في عالم الأشياء والمنتجات, بدل أن يطبق ضمن النسق البشري ونسق الأفكار"[5]. فبناء الإنسان هو الطريق إلى بناء المجتمع ومواكبة

الحضارة, وما لحضارة إلا مجموعة من أعمال الإنسان الفكرية والوجدانية والعمرانية. ولا يمكن أن تقوم لمجتمع حضارة إلا بالبناء السليم للفرد. وأول خطوة من خطوات البناء السليم للفرد, هي نشر القراءة ومحاربة الأمية. فما لمقصود بالأمية؟ وما أسبابها؟ وكيف هو وضعها في الجزائر؟ وما سبل الحد منها؟

وقد قمنا بهذه الدراسة اعتمادا على المنهج الوصفي, وهو منهج علمي يقوم أساسا على وصف الظاهرة أو الموضوع محل البحث والدراسة, وقد عرفه الباحث (هويتي) بأنه "يتضمن دراسة الحقائق الوقتية المتصلة بمجموعة من الأوضاع أو الأحداث أو الناس, ويكون مختصا ببحث الظواهر أو الوقائع في الوقت الراهن[6]. لذلك انصب عملنا على وصف ظاهرة الأمية وأنواعها وأسبابها وجمع بيانات ظاهرة عنها, من خلال المصادر والمراجع التي تناولت هذه الظاهرة.

ومن أجل دراسة الأمية في الجزائر وسبل الحد منها, قمنا بهذه الدراسة وفق خطة, قسم من خلالها البحث إلى ستة مباحث, تناول المبحث الأول تعريف الأمية و أنواعها, أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه أسباب الأمية الخارجية منها والداخلية, أما المبحث الثالث فقد تعرضنا فيه لمظاهر الأمية وأهم سمات الطبقة الأمية في الجزائر, أما المبحث الرابع فقد خصص للحديث عن الآثار المترتبة على الأمية, وخصص المبحث الخامس لتطور الأمية في الجزائر, أثناء فترة الاستعمار وبعد الاستقلال, أما في المبحث السادس فقد كان للخوض في سبل الحد من الأمية, واختتم البحث بنتائج وتوصيات في خاتمة الدراسة.

أولا – تعريف الأمية: الأمية هي مشكلة اجتماعية ذات نتائج سلبية متعددة ومؤثرة في المجتمع. وتعرف في العادة بأنها وضع الذين تجاوزوا سن التعليم دون أن يلموا بمهارتي القراءة والكتابة ومبادئ الحساب, في مستوى يمكنهم من تملك لغة الرموز الكتابية, واستعمالها فعلا في مجالات الاتصال الفكري[7], فيقصد بالأمية عدم المعرفة أو القدرة على القراءة والكتابة، ويعرف الأمي في الجزائر بأنه الشخص الذي لا يعرف القراءة والكتابة بأي لغة، وقد تجاوز السن العاشر من عمره. وهذا التعريف هو الذي اعتمد في تقييم وضعية الأمية في الجزائر إلى يومنا هذا منذ الإحصاء الأول عام 1966. و أصبح مفهوم الأمية في العالم الآن يعرف بمفهوم آخر بعد أن ارتبطت به كلمات أخرى فأصبح هناك مصطلحات الأمية الثقافية، والأمية الحاسوبية, والأمية الوظيفية والأمية البصرية

أو المرئية، والأمية المعلوماتية...الخ. وقد تطور التعريف المقبول لمحو الأمية من القدرة على القراءة والكتابة, إلى القدرة الأوسع على تناول المعلومات, وتناولت هذه الدراسة مشكلة انتشار الأمية المعلوماتية في المجتمع. ونصت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في التقرير النهائي للمؤتمر الإقليمي لتخطيط وتنظيم برامج محو الأمية في البلاد العربية المنعقد بالإسكندرية سنة 1963, على أن الأمي هو كل من تعدى العاشرة من عمره وليس في أي مدرسة, و لم يصل إلى المستوى الوظيفي في القراءة والكتابة باللغة العربية[8], ويمكن معرفة الحد الأدنى لهذا المستوى الوظيفي من خلال القدرة على[9]:

- قراءة فقرة من صحيفة يومية بفهم وانطلاق.
- التعبير الكتابي عن فكرة تعبيرا واضحا.
- كتابة قطعة إملاء كتابة صحيحة.
- قراءة الأعداد وكتابتها وإجراء العمليات الحسابية الأساسية التي تتطلبها حياة الفرد اليومية.

وتتكون الأمية من ثلاث فئات, الأولى هي فئة الدين لم يدخلوا المدرسة الابتدائية, والثانية المتسربين من المدرسة الابتدائية, والفئة الثالثة فئة كل من تجاوزوا العاشرة و لم يتلقوا تعليما أو تدريبا.

أنواع الأمية: حينما نتكلم عن الأمية ينصرف الذهن إلى نوع واحد من الأمية وهو الأمية التعليمية، أي الجهل بمبادئ القراءة والكتابة، وهذا النوع هو الذي يخضع للإحصاءات, في حين أن هناك أنواعا أخرى من الأمية أكثر خطورة, فكم من متعلم حائز على الشهادات العليا وهو في نفس الوقت يفتقر للوعي بالواقع وتعوزه النظرة للحياة؛ ومن بين أنواع الأمية:

الأمية الأبجدية: وتعني عدم معرفة القراءة والكتابة والإلمام بمبادئ الحساب الأساسية , ويعرف الإنسان الأمي بأنه كل فرد بلغ الثانية عشرة من عمره ولا يلم الماما كاملا بمبادئ القراءة والكتابة والحساب بلغة ما و لم يكن منتسبا إلي مدرسة أو مؤسسة تربوية وتعليمية.

الأمية الحضارية: وهي العجز عن المساهمة في تنمية المجتمع لعدم الكفاءة في استعمال الوسائل الحضارية, والتي تتطلب مواصلة التعليم لاكتساب المهارة والقدرة على تسخير المتاحة بأساليب حضارية. فالأمية الحضارية تعني عدم مقدرة الأشخاص المتعلمين على مواكبة معطيات

العصر العلمية والتكنولوجية والفكرية والثقافية والفلسفية الإيديولوجية والتفاعل معها بعقلية دينامية قادرة على فهم المتغيرات الجديدة وتوظيفها بشكل إبداعي فعال يحقق الانسجام والتلاؤم مابين ذواتهم والعصر الذي ينتمون إليه مؤمنين في ذات الوقت بمجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات الفكرية والممارسات السلوكية والمبادئ والمثل التي تتعارض وطبيعة الحياة المتجددة على الدوام .

وتنقسم الأمية الحضارية من حيث المبدأ إلى عدد غير قليل من الأقسام والفروع الرئيسية, وعرفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الأمية الحضارية في الأنواع التالية[10]:

- الأمية السياسية: ويقصد بها الجهل في النواحي السياسية بالرغم من تعلم الفرد للقراءة والكتابة والحساب .
- الأمية الدينية: ويقصد بها الجهل بالشعائر الدينية اللازمة للإنسان.
- الأمية الاجتماعية: ويقصد بها الجهل بالمشكلات التي يعاني منها المجتمع.
- الأمية الصحية: ويقصد بها الجهل بالنواحي الصحية وأساليب الوقاية والعلاج.
- الأمية الاقتصادية: ويقصد بها الجهل في الناحية الاقتصادية دوليا أو محليا أو أسريا. فالأمية الثقافية قد تكون جزء من الأمية الحضارية, ومن المهتمين من لا يرى فرق بين الأميتين, وبعض أخر يرى أن كل أمية منهما تختلف عن الأخرى مع اشتراكهما في بعض الخصائص, وقد وجد في السنوات الأخيرة أن نسبة الأمية الثقافية بين المتعلمين آخذة في الازدياد حيث أن المتعلم قد يكون من الكفاءات المميزة في مجال تخصصه, أما خارج هذا التخصص فإن ثقافته تكون ضئيلة للغاية في المجالات الأخرى[11], وكل إنسان يفتقر إلى معلومات ولو بسيطة في مجال من المجالات الواسعة, ولذلك فكل إنسان هو أمي في جانب من جوانب الثقافة, فقد يكون بعض المتعلمين ماهرين في الأمور التقنية ولكنهم أميين في الأمور الدينية أو الاقتصادية. وقد يكون البعض أميين في لغة من اللغات, ويوجد من هو أمي في علم من العلوم كالفيزياء أو الرياضيات أو غير ذلك.

الأمية الوظيفية: ويقصد بها "عدم تكوين المهارات التي تساعد على المشكلات سواء في العمل أو في الحياة بالرغم من اكتساب الإنسان قسط وافر من التعليم"[12], أي "نقص قدرة الفرد على توظيف بعض المعارف والقدرات والمهارات في مجالات الممارسة العملية في حياة الفرد الخاصة والعامة"[13], وهي مشكلة كبيرة تعكس نفسها من خلال ضعف الأداء, وهي لا زالت مشكلة أكثر انتشارا مما

كان يعتقد. ويعاني منها معظم الخريجين والتي بسببها يواجه هؤلاء صعوبات تطبيق ما تعلموه، والخوف والقلق من مواجهة المهنة. ويأتي ذلك لعدة أسباب منها[14]:

أ- إهمال أو كسل الطالب معظم سنوات الدراسة.

ب- عدم قناعة الطالب باختصاصه أو بنتيجة وجدوى تعليمه.

ت- عدم هضم المناهج التعليمية لأمور عدة.

ث- قصور السياسة التعليمية لأسباب منها عدم ملائمة برامج التعليم ومناهجه أو قلة كفاءة الكوادر التدريسية والتدريبية, وتعد هذه مشكلة كبيرة متداخلة مع مشاكل أهم منها.

ثانيا – أسباب الأمية: للأمية عدة أسباب تسببت في تفاقمها, منها ما هو خارجي, ومنها ما هو متعلق بالمحيط الذي يعيش فيه الفرد أو الأسرة, ومن بين الأسباب المتعلقة بالمحيط, "منها ما هو اقتصادي ومنها ما يرجع إلى التقاليد الاجتماعية في مناطق معينة, ومنها ما يرجع إلى هبوط مستوى الأداء التعليمي وعدم ارتباط المناهج بالبيئة"[15]. وأهم سبب من الأسباب الخارجية, هو الاستعمار الذي عان منه جل ما يعرف بالعالم الثالث. والمجتمع الجزائري كان واحدا من المجتمعات الذي ارتفعت فيه نسبة الأمية إلى أعلى مستوياتها, بسب السياسة الاستعمارية التي كانت تسعى إلى "خدمة أهداف الاحتلال التي يرسمها ضد مصالح الشعوب ومستقبلها وسيادتها وكرامتها"[16], حيث عمل الاحتلال الفرنسي طوال وجوده في الجزائر بكل جهوده وإمكانياته على حرمان الشعب الجزائري من العلم والثقافة, محاولة منه لمحو كل مقومات الشعب الجزائري, وقد بلغت "نسبة الأمية سنة 1954 في الجزائريين المتراوحة أعمارهم بين 15- 24 سنة, 92 %, فيها حوالي 88% للذكور, وحوالي 96% للإناث[17], فالأمية في الجزائر مشكلة أحدثها الاحتلال الفرنسي وورثها المجتمع الجزائري, وبذلك يكون الاحتلال الفرنسي, هو السبب الرئيس في ارتفاع نسبة الأمية في الجزائر, من 14% سنة 1930 إلى حوالي 85% سنة 1962, بما يقارب 6.5 مليون أمي, من 9ملايين جزائري[18]. وفي مصر قصرت الفرص التعليمية, في فترة الاحتلال الأجنبي لمصر, على شريحة ضيقة من المواطنين وحرمت الجماهير العريضة من فرصة التعليم"[19], وما حدث في الجزائر ومصر حدث في كثير من الدول التي كانت تحت وطأة الاستعمار, وهو ما جعل العراق يتقهقر في مجال مكافحة الأمية بسبب سنوات الحصار والغزو لتبلغ نسبة الأميين فيه 61%. فالاحتلال في هذه

الدول "لم يستهدف أبنيتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فحسب, بل تعدى الأمر إلى محاولة القضاء على أبنيتها الثقافية, خاصة منها القيم الايجابية"[20].

وهناك أسباب أخرى للأمية, تعود إلى مجموعة من العوامل المؤثرة على الفرد أو الأسرة والمجتمع, منها الخاصة والتي تتعلق بالأفراد وهي ما يعرف بالأسباب الشخصية, ومنها العامة والمتعلقة بالأمية كظاهرة اجتماعية متصلة بالبيئة المحيطة, وتشمل الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وقد تعيق هذه الأسباب الفرد من التعلم كليا ولا يلتحق بالمدرسة على الإطلاق, أو قد تسبب في انقطاعه عن الدراسة بما يعرف بالتسرب المدرسي. حيث أن نسبة معتبرة تنظم للأمية سنويا "من مجموع التلاميذ المقيدين في المدارس الابتدائية قبل إتمام دراستهم كنتيجة للتسرب"[21].

والتسرب المدرسي الذي يعرف , بانقطاع التلميذ عن الدراسة, بعد أن أمضى في المدرسة الابتدائية بعض الوقت, ثم تركها قبل إتمام تعليمه, دون أن يتابع دراسته في مدرسة أخرى, ودون أن يصل إلى نهاية المرحلة الابتدائية, وتعتبر أسباب التسرب المدرسي من أهم أسباب الأمية, فأغلب الأميين هم متسربون من المدرسة في المراحل الأولى من التمدرس, حيث أن الأمي هو "الشخص الذي لم يصل مستواه التعليمي إلى مستوى نهاية الصف الخامس من التعليم الأساسي"[22], ومن بين أهم الأسباب نذكر:

01- العوامل الشخصية[23]:

تعتبر العوامل الشخصية عوامل دافعة لبروز ظاهرة التسرب المدرسي والأمية, وذلك لارتباطها بالتلميذ نفسه وكذا متطلباته وحاجياته الشخصية, ومن أهم هذه العوامل:

أ) العوامل الجسمية الصحية: كحالات الضعف العام, أو وجود مرض جسمي معين, قد يكون مزمنا مما يؤدي إلى تشتت انتباه التلميذ أثناء تلقيه الدروس, مما يعيق قدرته على الدراسة والمراجعة, وقد يدفعه إلى ترك الدراسة نهائيا من أجل العلاج.

بـــ) صعوبة استيعاب بعض المواد الدراسية, سواء نتيجة صعوبتها, أو لانخفاض مستوى الذكاء عند التلميذ, مما يؤدي لتأخره في هذه المواد, ومنه يحدث الرسوب خلال العام الدراسي, الأمر الذي قد يساهم في انقطاعه النهائي عن الدراسة, دون إكمال مرحلة الدراسة الباقية.

ج) رغبة بعض التلاميذ في الالتحاق بالعمل في سن مبكرة, قصد الاستقلال المادي, أو مساعدة أسرهم ماديا, وهذا ما يؤدي بهم إلى ترك مقاعد الدراسة.

د) التحاق التلاميذ بالنوادي الرياضية, رغبة في السمعة والنجومية, وقلة اهتمامهم بالدراسة, مما ينجر عنه نرك المدرسة نهائيا.

هـــ) كبر سن التلميذ يشعره بالنقص, خاصة إذا كان يتعرض للسخرية من زملائه, نتيجة كبر سنه, أو ضخامة جسده, فلا يستطيع أن يستمر في الدراسة.

و) شعور بعض التلاميذ بالخوف والرهبة من الامتحانات, مما يدفعهم إلى ترك الدراسة.

ز) قد ينشأ التلميذ في منطقة منعزلة, دون احتكاكه بأترابه, وبمجرد التحاقه بالمدرسة الابتدائية, تبدأ أعراض التخلف المدرسي تظهر عليه, أكثر من غيره من التلاميذ[24]. وقد تبرز في ضعف التحصيل, أو في ضعف القدرة على الفهم والحفظ.

02- العوامل المتصلة بالبيئة:

تتمثل في العوامل التي لها تأثير فعال في الحياة الدراسية للتلميذ المتسرب, سواء تعلق الأمر بتحصيله الدراسي, أو مواصلة الدراسة أو نتائجه الدراسية, وتشمل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والسياسية, وهي كالأتي:

2-1- العوامل الاجتماعية:

تخلق الظروف الاجتماعية التي يعيش وسطها التلميذ, العوامل التي تحدد سلوكياته التي يسلكها اتجاه الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل, وتحكم تحصيله الدراسي, وكذا نتائجه الدراسية, فترتفع أو تنخفض تبعا لتلك الظروف, ومن بين العوامل الاجتماعية ما يلي:

2-1-1. الوسط الاجتماعي:

باختلاف موقع الأسرة, فانعزالها له تأثير على الأبناء, لأن انتقالهم من الوسط الأسري المنعزل إلى الوسط المدرسي المتميز بتعدد العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين مختلف الأعضاء المتواجدين في هذا الوسط من المعلمين والمتعلمين, دون المرور بمرحلة الاحتكاك بآخرين, خصوصا بالأصدقاء قبل الدخول إلى المدرسة, يعرقل اندماجه في الوسط الدراسي, إذ بمجرد التحاقه بالمدرسة الابتدائية, تبدأ أعراض التخلف الدراسي تظهر من خلال سلوكاته ونتائجه الدراسية, كما أن تدني

الأوضاع الاجتماعية لبعض الأوساط الاجتماعية, خصوصا الريفية منها, ينتج عنه عدم توفير المناخ المناسب للدراسة, كما أن حياة الترحال والتنقل التي تعرفها بعض الأوساط البدوية, تدفع بأبنائهم المتمدرسين, للانقطاع عن المدرسة, وقد بينت بعض الدراسات, على وجود أكثر نسب للتخلف الدراسي, في الصفوف الدنيا للسلم الاجتماعي. كما توجد بعض العادات و التقاليد تدفع الآباء إلى منع بناتهم من التعلم, واعتراضهم على تجاوز مستوى تعليم معين.

2-1-2. التفكك الأسري:

من المعلوم أنه إذا كانت الأسرة متماسكة ومنسجمة, وقائمة على التفاهم والاحترام بين أفرادها, فإنها توفر الجو الدراسي الملائم للأبناء, وتخلق الوقت لمراقبتهم ومتابعة دراستهم. فالطفل "يتأثر بأسرته أكثر مما يتأثر بأية بيئة أخرى, فإذا كانت الأسرة مترابطة تسودها المودة والتربية السليمة, كان هذا دفاعا ضد نفوذ البيئات السيئة"[25], أما الأسرة المفككـــة بسبب فقدان أي من الوالدين, بموت أحدهما أو كليهما, أو دخول أحدهما السجن, أو مرضه مرضاً مزمناً, أو بالهجر أو الانفصال أو الطلاق. أو بسبب صور سيكولوجية كالمرض العقلي والاضطراب النفسي للآباء وغيرها, فإن ذلك يؤثر سلبا على التحصيل الدراسي للأبناء, فيؤدي إلى ضعف نتائجهم وتخلفهم الدراسي, مما قد يتسبب في الإعادة أو الانقطاع عن الدراسة نهائيا. ومظاهر التفكك الأسري, لا تظهر فقط في المشاجرات بين الوالدين, وإنما تظهر أيضا في التفرقة في معاملة الأولاد وإهمالهم استعمال القسوة معهم, خاصة من قبل الأم, أو زوجة الأب, أو زوج الأم, فهذا يؤدي حتما إلى اضطراب في شخصية التلميذ, فتؤثر سلبا على حياته الدراسية, مما قد يتسبب في هجره للمدرسة وتخليه عن الدراسة, كذلك فالأسرة التي تخلو من الآباء, ولسنا نشير هنا إلى الأب المتوفى أو المنفصل عن عائلته بالطلاق, أو المريض بمرض الطويل, بل نريد أن نشير أيضا إلى الأب الذي يطغى عليه عمله, أو أصحابه أو مقهاه أو منتداه وما إلى ذلك, طغيانا يحرم عائلته من حضوره وتواجده معهم, فيعتمد الأطفال في هذه الظروف على أمهاتهم, وهذا الموقف يكون عسيرا خاصة على الأطفال بعد سن السادسة, فالأب الذي لا يستطيع إقامة الصلة والألفة بينه وبين صغيره, وبعث روح الصحبة معه, وإشعاره بأهمية وجوده في حياته قبل سن السادسة, فلا يمكنه أن يقوم بذلك بعد ذلك غالبا, وما أكثر الذين لم يشعروا أولادهم بصحبتهم وحنانهم في مجتمعنا, فرسالة الأب ليست توفير الطعام

والمسكن والملبس فقط, بل الأبوة نفسها واجب يحتاجه الأبناء, وهي علاقة روحية وأخلاقية, ولا يمكن القيام بهذا الواجب إلا إذا كان الاهتمام بالأبناء في كل الجوانب وفي كل المراح. ومن كل الذي سبق, يتبن التفكك الأسري له مظاهر مختلفة, وينجر عنه عدم استقرار الأبناء, مما يؤثر سلبا على تحصيلهم الدراسي, وقد يؤدي إلى هروبه من المدرسة, وتوقفه عن مزاولة دراسته نهائيا.

2-1-3. ضيق السكن:

تعتبر أهمية السكن, من العوامل التي تلعب دورا هاما في التحصيل الدراسي للطفل, حيث يلبي المسكن للفرد حاجيات نفسية وفيزيولوجية وثقافية, كما يلبي في نفس الوقت, احتياجات النمو الفكري لأفرادها, فإذا كان حجم العائلة كبير وعدد الغرف في المسكن قليل, فإن لذلك علاقة عكسية على التحصيل الدراسي, فكثرة الأفراد في مكان ضيق , يصعب التعايش بن أفراد الأسرة, مما يجعل الحياة الأسرية مضطربة , ويقلل من جو التفاهم والانسجام داخل الغرفة, كما أن الافتقار إلى غرفة خاصة بالمراجعة والمطالعة, من شأنه أن يؤثر على عملية التحصيل الدراسي[26]. حيث يصبح المسكن الضيق, ملجأ للنوم فقط, دون أن يستطيع الطفل القيام بواجباته المدرسية, كمراجعة دروسه وحل واجباته, كما تقل فيه متابعة الوالدين لأبنائهم, وتقل مساعدتهم لهم في القيام بواجباتهم, وهذا ما يؤدي بالطفل إلى عدم الاهتمام بالدراسة, مما يؤثر على تحصيله الدراسي, فيكون سببا مباشرا لكرهه للدراسة, لأن ظروف السكن تعيق استمراره في ذلك.

2-1-4. جماعة الرفاق:

"الرفاق والأصدقاء أو الأقران, هم الجماعة الأولى التي تناسب سن الطفل وتناسب منزلته الاجتماعية, وهي التي يجد فيها فرصته الأولى لتكوين علاقات اجتماعية جديدة ذات طبيعة مستقلة تختلف عما عهده من علاقات أخرى في نطاق أسرته"[27]. وتلعب جماعة الرفاق دورا هاما في التنشئة الاجتماعية, وفي النمو الاجتماعي والنفسي للطفل, وهناك مجموعة من الأسس في جماعة الرفاق, تؤدي إلى توثيق صلات الصداقة بين الأطفال, كتقارب العمر, وتشابه الميول, وتجاور السكن, والتقارب في النمو الجسمي, وفي القدرات التحصيلية والعقلية, والاتجاهات العامة لأفرادها, والمركز الاجتماعي المشترك[28]. وجماعة الرفاق تعتبر من أشد الجماعات الأولية تأثيرا على الشخصية بعد الأسرة, كما تعتبر أمرا أساسيا في نمو المهارات الاجتماعية للطفل, بسبب علاقة التأثير والتأثر التي

تنشأ بين أفرد المجوعة, أي بين الفرد ورفقائه, وقد يكون تأثيرها في فترة معينة من حياة الفرد تأثيرا يفوق تأثير الأسرة"[29], إلا أن هذا التأثير, قد يكون ايجابية, وقد يكون سلبيا, وقد يؤدي إلى ميول الطفل إلى عدم الاهتمام بالدراسة, والهروب من المدرسة, خاصة إذا كان مجموعة الرفق ليسوا من زملاء الدراسة, وهنا يظهر ضعف التحصيل الدراسي ومن ثم تكثر غياباته إلى أن يترك المدرسة نهائيا, في حين أن زملاء الدراسة يشكلون جماعة صغيرة تتكون من عدد من الأفراد يتصلون ببعضهم بشكل منظم, بأسلوب مباشر غالبا خلال فترة من الزمن وقد يكون زملاء الدراسة من نفس المدرسة, أو من نفس القسم, كما أن الطفل مع مرور الوقت وزيادة السن, تصبح رغباته "أسرع في التحول من جماعة إجبارية, إلى جماعة ذات دوافع اجتماعية شبه واحدة, بالإضافة إلى السن المتقارب بين التلاميذ داخل الفصل, وكذلك التقارب في المستوى التعليمي"[30].

2-1-5. حجم الأسرة:

تعتبر الأسرة أساس تنشئة الفرد, لكونها توفر له رعاية ضرورية, لا غنى عنها لاستمرار بقائه منذ ولادته, سواء كانت الرعاية من ناحية الغذاء والصحة, والملبس والمسكن, أو عاطفيا واجتماعيا وفكريا, عن طريق التأثير عليه بعناصر المحبة, وتوفير الجو العاطفي اللازم, خاصة في المراحل الأولى من حياته. وهنا يبرز دور الأسرة في نجاح أو فشل التلميذ, ومن المعلوم أن هناك عوائق كثيرة أمام دور الأسرة, منها العدد الكبير لأفراد الأسرة, والمعروف أنه كلما زاد عدد الأطفال في الأسرة, قل نصيب الفرد من الاهتمام والرعاية[31]. خاصة مع ضيق المسكن, حيث تكثر الضوضاء ويقل اهتمام الوالدين, وكلما قلت الإمكانيات في الحجم الأسري الكبير, انعكس ذلك سلبا على تحصيل الأبناء, لانعدام جو الدراسة والمراجعة وحل الواجبات الدراسية داخل البيت, ومع كثرة الأبناء, يقل نصيب الفرد من تشجيع ومتابعة الوالدين له, "ولاشك أن هناك ارتباط وثيق بين كثرة الأبناء في الأسرة الواحدة ودرجة التعليم"[31], ويشير تقرير البنك الدولي(1997), إلى أن الأسر الفقيرة, عادة تنجب عددا أكبر من الأطفال, مما يؤدي إلى كبر حجم الأسرة, وزيادة أعباؤها المالية"[32]. وحتمية الفقر مع كبر حجم الأسرة, هو حرمان بعض أبناء هذه الأسرة أوكلهم من التعليم.

2-2- العوامل الاقتصادية:

يعتبر العامل الاقتصادي ذا أهمية بالغة, فالطفل الذي يجد نفسه في أسرة فقيرة, تعاني من الفاقة وقلة المدخول, و يعيش الظروف التي تتميز بها الحياة في أسرة فقيرة, مما يدفع به إلى الشعور بالحرمان المادي, الذي يغذي مشاعر النقص والقلق[33], فالمقدرة الاقتصادية للأسرة عامل مهم, في تحديد العديد من العوامل الأخرى المؤثرة على المسار الدراسي للتلميذ, والتي تتحكم في نجاحه أو فشله في الدراسة, فالأسرة التي لها مستوى اقتصادي ضعيف, قدرها ضعيفة على توفير احتياجات التلميذ, وعلى تحمل عبء اللوازم المدرسية, كما يتأثر المسكن والحي الذي يسكنه التلميذ, بالحالة الاقتصادية للأسرة. إذ يؤدي انخفاض القدرة المالية للأسرة, إلى اختيار مساكن يتناسب مع هذه القدرة, وغالبا ما تكون مساكن بسيطة ضيقة, يحشر فيها كل أفراد العائلة, وهذا ما ينتج عنه حالة عدم الاستقرار في نفس التلميذ, ومنه نفوره من المسكن, ونفوره من المدرسة, ومخالطة أصدقاء السوء, وقضاء وقت أطول في الشارع, وعدم الاهتمام بالدراسة, مما يشكل مشكلة حقيقية لديه, ويدفع به إلى البحث عن الأفضل, سواء بدافع شخصي, أو بدافع من أسرته, فهناك "بعض الأسر تعتبر الطفل من مصادر الدخل"[34]. ورغم وجود عدة أسباب تدفع الطفل والمجتمع إلى الأمية, إلا أن الفقر يأتي في مقدمة هذه الأسباب, فانخفاض مستوى دخل الأسرة, والظروف المعيشية القاسية تدفع الآباء إلى ضبط نفقاتهم وسحب أبنائهم من المدارس[35], كما يضطر الأطفال إلى العمل لتوفير لقمة العيش لأنفسهم ولأسرهم. وعلى الرغم من وجود ارتباط قوي بين ضعف المقدرة الاقتصادية للأسرة وتسرب التلميذ, إلا أنها ليست دائما هي العامل الرئيس في تسربه, فقد تكون دافعا قويا لإتمامه دراسته, محاولة منه للخروج من هذه الأزمة التي يعيشها, وطمعا في تحسين ظروفه, وهذا في الأسرة ضعيفة المقدرة المالية.

ومنه يتبين أن العامل الاقتصادي للأسرة, يلعب دورا كبيرا في نجاح أبنائهم أو العكس, كما أن" تحسن الأوضاع الاقتصادية في المجتمعات قد تكون دافعا للتعلم, وقد يكون لها أثر عكسي, يتسبب في إحداث التسرب المدرسي, إذا كان الآباء على غير وعي وإدراك بأهمية العلم"[36], أو غير متواجدين مع أبنائهم. وتلعب لكفاية المالية الأسرة عادة دور ايجابي في تحسن نتائج الأبناء, إلا أن هناك أسباب أخرى, قد تتسبب في العكس, وبسبب المصاريف الزائدة, وإعطاء الأبناء مالا, لا يحتاجه فعلا, والتي تصرف في الترف واللهو, مما يؤدي إلى إهمال الدراسة, مع انشغال الوالدان

بالماديات. و "من جانب آخر فان الأوضاع الاقتصادية السيئة لبعض الدول ذاتها تسهم إسهاما كاملا في المساعدة على التسرب بين أبناء ذوي الدخول المحدودة"[37].

2-3- العوامل الثقافية:

إن المستوى الثقافي للأسرة, خاصة الوالدين له تأثير مباشر على الأبناء, إذ كلما كان هذا المستوى مرتفعا أدى إلى اهتمام الآباء بالأبناء, عن طريق توفير الجو الملائم للدراسة, وكذا توفير مستلزماتها, ومراقبة أعمالهم ومتابعة دراستهم داخل البيت, وفي المدرسة, وأيضا مساعدتهم في فهم دروسهم والقيام بواجباتهم وتشجيعهم, وهذا ما يساعد في رفع معنويات الطفل الدراسية, ومنه رفع مستوى دراستهم, وهذا صادر من وعي الوالد بأهمية التعليم وضرورته في الحياة, فيكون دافعا مهما للأبناء في الدراسة والاستمرار في تحسين تحصيلهم العلمي. أما إذا نشأ الطفل في أسرة مستواها الثقافي ضعيف, أي أن الوالدين أميين فهذا يؤدي إلى انعدام الاهتمام والاعتناء بالأطفال في حياتهم اليومية الدراسية, "فالأسر التي تتصف بالجهل والأمية لا تحرص على تعليم أبنائها, لأن فائدة التعليم غير معروفة لديهم"[38], لعدم وجود الوعي العلمي لدى الوالدين, وكذا اهتمامهم بمجالات الحياة اليومية أكثر من التعليم, مما يؤدي إلى عدم اهتمام التلاميذ بالدراسة وإهمال واجباتهم والتغيب المستمر والانقطاع المبكر عن الدراسة. و"الولد الذي ينحدر من أبوين حصلا على شيء من العلم فإن الطفل يرغب في إكمال دراسته والاستمرار فيها, بينما الطفل الذي يأتي من أبوين أميين فإنه يجد صعوبة في إكمال سنواته في المدرسة الابتدائية, فيرغب في الهروب من المدرسة"[39]. كما أن هناك بعض العادات والتقاليد التي تحرم الإناث من التعليم خاصة عند الآباء غير المتعلمين, ويزداد ذلك خاصة في المناطق الريفية, فدرجة تحضر المجتمع تؤثر, والأسرة في الوسط الحضري تختلف عن الأسرة في الوسط الريفي, وكل أسرة تأخذ من الوسط الذي تعيش فيه وتتأثر بعاداته وتقاليده. ويعود تأثير العامل الثقافي إلى جملة عوامل منها, المستوى الثقافي والعلمي للوالدين, وأنماط اللغة المستعملة, ومستوى التشجيع الذي يقوم به الآباء نحو أطفالهم[40].

2-4- العوامل التربوية:

تشكل المدرسة مؤسسة اجتماعية منظمة, تسير وفقا لقوانين محددة, وتفرض نمط سلوكيا معينا على التلميذ, وللبيئة المدرسية دورا هاما في العملية التربوية, لوجود علاقة التأثير والتأثر بينها وبين

النسق التربوي, وقد تكون طريقة التنظيم فيها وكذا مناهجها سببا في بروز ظاهرة التسرب المدرسي, "فالمدرسة تعتبر مؤسسة تربوية اجتماعية ولكنها قد تفشل في تحقيق وظائفها, وقد يرجع ذلك إلى عوامل متعددة منها ما يتعلق بالتلميذ نفسه, ومنها ما يتعلق بزملائه, ومنها ما يتعلق بمعلمه, ومنها ما يتعلق بالمواد الدراسية وموضوعاتها, أو ما يتعلق بالنظام المدرسي بصفة عامة"[41].

2-5- العوامل السياسية:

مصير العملية التربوية مرتبط ارتباطا وثيقا بالاستقرار السياسي الذي يبعث الأمل في المؤسسات, حيث تقوم بأنشطتها على أسس عملية, ومنها قطاع التربية والتعليم, فما حدث في الجزائر خلال التسعينات من القرن الماضي, كان سببا في انقطاع الكثير من المتمدرسين, وعدم التحاق الكثير من التلاميذ الذين بلغوا السن القانونية للتمدرس, بسبب ما عرفته الأوضاع الأمنية من تدهور, وصار الخوف على البنين والبنات من الخروج إلى المدرسة, خاصة في المناطق النائية التي تبعد فيها المدرسة عن المساكن بمسافة كبيرة بالنسبة للتلميذ. فالأوضاع الأمنية المتدهورة والصراعات نتيجتها سلبية على التمدرس, وهي عامل من عوامل تزايد الأمية وارتفاع معدلاتها. ومن العوامل السياسية فشل سياسة التعليم لسوء التخطيط والبرمجة المركزية (التنسيق) في توزيع إعداد الطلبة، حيث يتم ذلك خلافا لمؤهلاتهم, وعكس رغبات الكثير منهم, مما يؤدي إلى تشجيع الفشل والتأخر الدراسي.

ثالثا-مظاهر الأمية: تعتبر الأمية ظاهرة اجتماعية معقدة, وهي سمة من مظاهر التخلف, وسببا من أسباب عدم تمتع الفرد الأمي بحقوقه الاجتماعية والمهنية, وحتى الفكرية والثقافية, ومن مظاهر الأمية عدم تملك المواطن المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب واللغة إلى المستوى الذي يؤهله لمتابعة الدراسة والتدريب. وهذه المظاهر تتجلى في الأمية الأبجدية, التي كان من أسباب تفشيها غياب فرصة التعليم, وأحيانا عدم وجود رغبة الشخص نفسه في التعليم, وقد ساهم في ذلك تركيبة المجتمع التقليدي, فالملاحظ أن الأمية تتركز في المناطق الريفية والرعوية, أكثر من المدن وهذا راجع إلى أن الدولة في مخططاتها التنموية ومنها السياسة التعليمية, التي تهتم بالمناطق الحضرية أكثر من المناطق الأخرى, عن طريق بناء المدارس, مما أدى إلى عدم تكافؤ الفرص بين أبناء الأرياف والمدن. بالإضافة إلى أن اختلاف نمط المعيشة بين الريف والمدينة بحسب الظروف والأسباب, أدى إلى

الاختلاف في وجهات النظر, وطريقة التفكير, بين سكان المدن وسكان الريف, خاصة في تربية الأبناء ونمط التعليم المراد لهم, فسكان الأرياف لهم ارتباط تكبير بقيود العادات والتقاليد, وقد يكون هذا سببا لعدم اهتمامهم بالتعليم, وعدم الحرص الكبير على تعليم أبنائهم إلى حد بعيد, وتوقيفهم عن الدراسة, وخاصة البنات. ومن خلال الواقع المعاش, يمكن أن يكون انعدام الوعي العلمي للسكان, وبعد تواجد المدارس والمؤسسات التربوية عن السكنات مع انعدام النقل, والظروف الاجتماعية والاقتصادية وحتى الجغرافية, كلها عوامل ساهمت في انتشار الأمية في المناطق الريفية بقدر أكبر مما هو موجود في المناطق الحضرية. ومن أهم سمات الأمية في الجزائر:

1- أن الأمية الأبجدية تنتشر خاصة عند كبار السن, بسبب الظروف الاستعمارية, وتتناقص بتناقص العمر, والسبب هو الاهتمام بالتنمية الاجتماعية والتي تنطلق من الاهتمام بالعملية التعليمية وسد منابع الأمية, مما فتح المجال أمام التلاميذ الذين بلغوا سن التمدرس في الانضمام إلى المدارس, خاصة بعد مجانية التعليم وفق الأمر 76–36 المتعلق بالتربية والتكوين والذي ينص في مادته الخامسة, والمادة السابعة على أن "التعليم مجاني في جميع المستويات والمؤسسات المدرسية مهما كان نوعها"[42], وكذا الاهتمام بتعليم الكبار من خلال فتح أقسام لمحو الأمية, ومما يفسر تناقص الأمية ما ورد من إحصائيات فقد قدرت نسبة الأمية سنة 1966 بـــ74.6%, وبعد الإصلاح التربوي ازداد عدد المتمدرسين وبذلك انخفضت نسبة الأمية إلى 43.6% سنة 1998 لتصل سنة 2002 إلى حوالي 26.5%[43], ورغم انخفاض نسبة الأمية فان عدد الأميين في تزايد مستمر رغم تناقص نسبة الأمية, ويرجع ذلك إلى عدم تمدرس كل الأطفال البالغين سن التمدرس, والنمو الديموغرافي الكبير, وكذا التسرب المدرسي, هذا الأخير الذي أصبح مشكلا يهدد المنظومة التربوية ويعيق تقدم المجتمعات. وقد حاولت الجزائر من خلال إجبارية التعليم والحق التعليمي لكل طفل حتى السن 16, أن تتخطي هذه العراقيل التنموية التي كانت ولا زالت حاجز كبير أمام التنمية الاجتماعية.

2- إذا كان السبب الأمية عند الكبار هو السياسية الاستعمارية التي تعمدت تجهيل الشعب الجزائري, فإن السبب الرئيس في انتشار الأمية بين الشباب هو التسرب المدرسي والأسباب التي أدت إليه.

3- ارتفاع نسبة الأمية بين النساء, وخاصة في المناطق الريفية, لانتشار بعض العادات التي تقف أمام تعلم الفتيات وارتباط تفكيرهم ونظرتهم للحياة بقيود العادات والتقاليد, فالأمية في الجزائر تشمل جنس الرجال والنساء ولكن بنسب تزيد فيها عند النساء أكثر من الرجال, وقدرت سنة 1966 بـــ85.4% عند النساء, و62.3% عند الرجال, ولا تزال الأمية متفشية بنسبة أكبر في وسط النساء.

4- ترتفع معدلات الأمية كلما كان الاتجاه إلى المناطق الريفية, حيث بلغت الأمية في المنطقة الريفية أكبر نسبة والتي قدرت بـــ63.73% مقارنة بالمنطقة الحضارية التي قدرت نسبة الأمية فيها بـــ32.82%, وبقيت نسبة الأمية مرتفعة في الفئات السنية الكبيرة, ويرجع إلى ارتفاع معدلات التمدرس حيث وصلت إلى 83% عام 1980, و لم تكن تتجاوز 47% عام 1966 [44].

5- انتشار البطالة الحضارية والوظيفية في كل الأوساط الاجتماعية, بسبب الأوضاع التي مرت وتمر بها العملية التعليمية في كل مراحلها. والتي تعتبر في كثير من المناطق وخاصة الريفية مجرد عملية أولية لمحو الأمية الهجائية.

رابعا–الآثار المترتبة على الأمية: إن مشكلة الأمية تعيق قدرة الإنسان على تحسين سلوكه تجاه مختلف المواقف اليومية وتعيق تحسين أوضاعه والمشاركة في تنمية أسرته ومجتمعه, فهي مشكلة ذات تأثيرات متعددة الاتجاهات, ولا ينحصر تأثيرها السلبي على الجانب الإدراكي للفرد في حد ذاته, ولكن هذا التأثير السلبي يمتد ليشمل جوانب السلوك المتبادلة بين الفرد وباقي مكونات المجتمع الذي يعيش فيه, ولا يقتصر على السلوكيات الاجتماعية, بل يتعدها إلى جوانب السلوك الأخرى مثل السلوك الاقتصادي والسلوك السياسي.[45]

ولقد أظهرت الأبحاث أن معرفة القراءة والكتابة هي الأساس الذي لا غنى عنه للازدهار، والصحة الجيدة، والديمقراطية، والأمن, وأن انتشار الأمية من أهم العوامل المؤثرة على الصحة والمؤدية إلى ارتفاع المشكلات الصحية "حيث أن نسبة الوفيات في العالم تدل على أن المناطق التي تنتشر فيها الأمية هي المناطق التي ترتفع فيها نسبة الوفيات"[46], فالوقاية من المشاكل الصحية مرتبط بالوعي, والوعي له علاقة وطيدة بالمعرفة والتعليم, وهذا يعني أنه يتنافى مع الأمية, والرقي بالصحة ينطلق ويبدأ من محاربتها, فمحو الأمية يعد علاجاً فعالاً ضد الأخطار التي تهدد الصحة لأنه يمكن

من توفير تغذية أفضل إلى جانب تعزيز الوقاية من الأمراض وعلاجها. وكل العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية تتأثر سلباً بانتشار الأمية، فمن الناحية الاجتماعية والثقافية فعلاقتها واضحة بارتفاع المشكلات الصحية وتدني مستوى التعليم, وانتشار العادات السيئة والخرافات في المجتمع. ومن الناحية الاقتصادية فإن الأمية مرتبطة بالفقر ارتباطا وثيقا, وظاهرتي الفقر والأمية متلازمتان ويؤثر بعضهما على البعض فهناك علاقة وثيقة بينهما, فكلما ازداد الفقر ازدادت الأمية, وكلما ازدادت الأمية ازداد الفقر, "وارتفاع الأمية في أي بلد ما يصاحبه انخفاض في الدخل القومي, وانخفاض في مستوى دخل الفرد وفقد عدالة التوزيع"[47], والأمي لا يصلح للعمل إلا في الوظائف الدنيا التي تعتمد على القوة العضلية وبذل الجهد الجسدي دون الفكري. ومن الناحية السياسية فالأمية تعيق طبقة كبيرة من المجتمع في ممارسة الحق السياسي الذي يتطلب حسن الاستماع وحسن القراءة لتتبع الأخبار من الصحف والإعلام المحلي والعالمي, ومعرفة الحقوق والواجبات التي رسمها القانون لكل مواطن في كل إطار وطور داخل المجتمع أو خارجه.

خامسا– تطور الأمية في الجزائر: عرفت الجزائر بعد الاستقلال, مشكلات اجتماعية واقتصادية كبيرة, مازالت تعيق تقدمها وتعرقل تطورها, إلى يومنا هذا, ومن بين أهم هذه المشكلات, مشكلة الأمية وضعف التمدرس اللذان يعتبران إرثا ورثه الشعب الجزائري من الاحتلال الفرنسي, فقد "كانت نسبة الأمية للجزائريين بين 15-24 سنة من العمر تبلغ 92% عام 1954, 88% للذكور, 96%للإناث[48], ونتج ذلك عن السياسة الذي انتهجها الاحتلال الفرنسي محاولة منه لطمس الثقافة الجزائرية عند الجزائريين, المتمثلة في الدين واللغة العربية والعادات والتقاليد, وبعد الاستقلال وبعد مجهود لمحاربة الأمية, تشير التقارير إلى انخفاض معدل الأمية إلى 67% بحلول عام 1966 (52 % للذكور و82 % للإناث)[49], "وقامت الجزائر بحملة كبيرة لمحو الأمية ابتداء من 15 أكتوبر 1970, وشملت هذه الحملة كل القطاعات بما فيها المساجد والمحلات التجارية والأحياء, وقد ساهم التلفزيون الجزائري ووسائل الإعلام كلها في هذه الحملة"[50], ورغم المجهودات المبذولة من طرف الجهات المختصة في الدولة (المنظومة التربوية, مراكز محو الأمية) إلا أن الأمية مازالت منتشرة عبر أنحاء الوطن بنسبة كبيرة, فقد "**كشفت رئيسة الجمعية الوطنية لمحو الأمية، على هامش اليوم العالمي لمحو الأمية، عن إحصاء22.1 % كنسبة أمية في الجزائر، من**

بينهم 28.9 % نساء و15.5 % من الرجال، أي ما يقارب ستة ملايين مواطن[51]. ولا تزال مع نهاية سنة 2012, تقارب نسبة 18% من مجموع سكان الجزائر.

الأمية أثناء الاحتلال الفرنسي: تعتبر الأمية في الجزائر ميراثا استعماريا, و بمعنى آخر, هي مشكلة تاريخية أحدثها الاحتلال, وورثتها الجزائر مع جملة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية, بعد طول احتلال واستغلال, حيث عمل المحتل الفرنسي طوال وجوده في الجزائر بكل جهوده وإمكانياته على حرمان الشعب الجزائري من العلم والثقافة, محاولة منه لمحو كل مقومات الشعب الجزائري, وكان شعاره في ذلك "عدو جاهل أفضل من عدو متعلم", فكان في اعتقاده, أن العدو الجاهل يمكن السيطرة عليه, بخلاف العدو المتعلم, الذي يصعب السيطرة عليه, ويصعب تسخيره لخدمة أهداف الاحتلال[52]. "وقد عملت الحكومة الفرنسية, والمستوطنون الأجانب في الجزائر على إبقاء الشعب الجزائري, يتخبطون في غياهب الجهل. وقد أدركت جمعية العلماء المسلمين ومدارس حزب الشعب, ضرورة التحرر من الجهل والمحتل معا, وضرورة إثبات مقومات الشعب الجزائري, فسعت جمعية العلماء المسلمين إلى تعليم الصغار, وأولت أهمية للكبار, فركزت نشاطها في المساجد على الوعظ والإرشاد, كما نظمت بالمدارس دروسا مسائية للكبار يحظرونها بعد الانتهاء من أشغالهم اليومية. إلا أن هذه لم تستطع محاربة هذه الآفة التي بلغت نسبتها في الجزائريين بين 15-24 سنة من العمر 92/سنة 1954م, 88/ للذكور, و96/ للإناث.

وبذلك يكون الاحتلال السبب الأساسي في ارتفاع نسبة الأمية في الجزائر من 14% سنة 1830 إلى حوالي 85% سنة 1962, حيث أنه من بين 9 ملايين جزائري في 1962 كان يوجد 6.5 مليون أمي[53].

01- الأمية بعد الاستقلال:

يرى الباحث في تاريخ الأمية في الجزائر أن التعليم كان في أوج ازدهاره حيث بلغت نسبة الأمية قبل دخول الاحتلال الفرنسي 14% من المجموع العام للسكان لسنة 1830 [54], وبدخول الاحتلال إلى الجزائر وما ألحقه من دمار في المجال العلمي بعد قرن وثلث القرن من الاحتلال أصبحت الأمية تشكل 94.9% بين الرجال, في حين قربت 98.4% بين النساء[55]. وكانت مشكلة الأمية وما تزال أحدى العوائق التي تعترض مسيرة التنمية في بلادنا، فالجزائر التي أدركت منذ

وقت مبكر خطورة هذه المشكلة وتنبهت إلى مالها من آثار سلبية على المسيرة التنموية على مختلف أصعدة الحياة، فسعت لمحاولة تطويقها وتدارك الأخطار المترتبة عليها بحسب الإمكانات المتاحة. فقد وجدت الجزائر بعد الاستقلال نفسها مجبرة على خوض معركة التنمية الاجتماعية, على كل المستويات للخروج من مظاهر التخلف, ولضمان نجاح مسيرتها التنموية, لذلك سعت إلى ربط التعليم بهذه المسيرة, وهذا ما نلمسه في خطاب الراحل هواري بومدين الذي ألقاه يوم 19 جوان 1968, حيث صرح "إن الشعب المتعلم لا يمكن أن يتأثر بالمجاعة"[56], وحتى تكون هذه المسيرة ناجحة لابد أن تكون مدعمة بحملات محو الأمية للكبار وتدعيم تمدرس الصغار. وقد وجد معظم أفراد المجتمع الجزائري أنفسهم عقب الاستقلال يتخبطون في مشاكل اجتماعية واقتصادية جمة, لذا سعت الدولة إلى وضع المرسوم رقم 67-76 المؤرخ في 16 أفريل 1976 والمتعلق بمجانية التعليم والتكوين و إجباريته, ومن نتائج هذا المرسوم, فتح مجال لأكبر عدد ممكن من الأطفال للالتحاق بالمدرسة, وكذا تراجع نسبة الأمية. والجدير بالذكر أن مشكلة الأمية في المجتمع الجزائري لم تظهر عوائقها على الحياة الاجتماعية إلا بعد الاستقلال, حيث عرفت الجزائر في هذه الفترة مجموعة من المظاهر السلبية التي تعكس الصورة الحقيقية للتخلف. غير أن معدلات الأمية شهدت انخفاضا كبيرا بفضل السياسة المعتمدة, حيث انخفضت إلى 23.65% لدى الذكور و40% لدى الإناث, وتبقى مرتفعة عند الفئات السنية الكبير, وهذا يرجع بدوره إلى ارتفاع معدلات التمدرس حيث وصلت إلى 83% عام 1998 ولم تتجاوز 47% عام 1966 [57]. وحسب تقرير التنمية البشرية للمجلس الاقتصادي والاجتماعي عن نسبة الأمية في الجزائر سنة 2008, فقد قدرت بأكثر من 28 %[58], وانخفضت نسبة الأمية في الجزائر, حسب دراسة أنجزها المركز الوطني للدراسات والتحاليل, إلى 18% بنهاية سنة 2012 [59]. وهذا الانجازات لم تتحقق, رغم التحفظ على دقة هذه النسب, إلا نتيجة الجهود الجماعية المبذولة في مكافحة الأمية, فحل أي مشكلة لا يمكن التقدم فيه, إلا بعد الشعور الجماعي الواعي بهذه المشكلة, ومعرفة أسبابها, وكذا البحث عن الحلول حسب الأسباب, وليس حسب الأعراض, فلا يمكن لمجتمع أن ينهض إذا فقد شعوره بالمسؤولية إزاء ما ينتابه من مشكلات اجتماعية, أواعتمد في معالجتها على العشوائية. ومشكلة الأمية هي مشكلة اجتماعية تتطلب جهود جميع مؤسسات المجتمع وأفراده, في جميع المستويات, فالأمية أصبحت قضية

اجتماعية حضارية في أبعادها ونتائجها, لما يعاني منه المجتمع من تخلف وجهل في عصر يرفض فيه التخلف ويرفض الجهل, وصار السلاح الحقيقي هو العلم والمعرفة, وما قامت حضارة من الحضارة, إلا كانت أول خطواتها هي القراءة والمعرفة.

سادسا – سبل الحد من الأميّة: "الأمية تتعارض طبيعة ووجودا مع نظام الحضارة المعاصرة ومع أسلوب إنتاجها, ومع فلسفتها الاجتماعية والسياسية. ولذلك أصبحت الأمية في هذا السياق الحضاري عائقا من عوائق التنمية والتقدم"[60], ولا يختلف عاقلان على أن المجتمع المتعلم أكثر قدرة على النمو والتطور من المجتمعات التي يكثر فيها الجهل والأمية، وأن التربية الشاملة هي الوسيلة الأكثر نجاعةً في تطوير قدرة المجتمع على النمو, ومواكبة متطلبات العصر. ويشكّل محو الأميّة حقاً من حقوق الإنسان وأداة لتعزيز القدرات الشخصية وتحقيق التنمية البشرية والاجتماعية. كما أنه يوفر القدرة لتحسين حياة المرء والمجتمع الذي هو جزء منه. فالمعرفة بصفة عامة ومعرفة القراءة والكتابة بصفة خاصة, عامل ضروري للقضاء على الجهل والفقر، وخفض معدل الآفات الاجتماعية، والحدّ من المشاكل الاجتماعية والتصدع الاجتماعي, وضمان التنمية الاجتماعية والتماسك الاجتماعي, فالمعرفة والعلم ضرورة من ضروريات ازدهار الحياة الإنسانية **"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ"**[61], فالمجتمعات المتعلّمة تبدو مجهّزة بطريقة أفضل لمواجهة التحديات الاجتماعية, أما المجتمعات الأمية فهي عرضة دائمة للأخطار والآفات المؤدية إلى ارتفاع المشكلات الاجتماعية والاقتصادية كالبطالة والفقر. فالأمية سببا ونتيجة للتخلف الاقتصادي والاجتماعي وهدرا للموارد البشرية. ويمكن تحديد أهمية محو الأمية في تنمية المجتمع وأفراده على النحو التالي:

1- تنمية الوعي الثقافي والاجتماعي والمهني لهذه الفئة, وتزويدهم بالمعارف والمعلومات المتعلقة بهذه الجوانب, كمتطلبات أساسية في التنمية المجتمعية.

2- مواجهة المشكلات التي يعيشها أفراد هذه الفئة, من خلال توظيف ما يتعلمه في حياته العملية, ويمكن أن يحدث ذلك من خلال الالتحاق ببرامج التعليم الخاص بمحو الأمية, واكتساب المهارات الضرورية في حل المشكلات, والتدرب عليها واستخدام أنماط التفكير اللازمة لذلك. إن التعليم

والتعلم الهادف في محو الأمية وتعليم الكبار ينبغي أن يؤكد على هذه الجوانب، وطبقا لخصائص الكبار وحاجاتهم ورغباتهم واتجاهاتهم.

3- تنمية قدرة أفراد المجتمع على التعايش مع التكنولوجيا الحديثة, ووسائلها وأدواتها, واستيعاب كل جديد في هذا الجانب. فالمجتمعات اليوم تسعى جاهدة إلى تطبيق أدوات التكنولوجيا في حياتها العامة, وفي أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية, والاستفادة القصوى منها في سبيل ذلك، والتربية والتعليم هما الوسيلة الرئيسة التي تحقق للمجتمع غايته, من خلال نمو وتطور أفراده, وتعليمهم وتدريبهم, على كيفية التعامل مع التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يطبع هذا العصر.

4- الإسهام في التنمية الاجتماعية والحد من المشكلات الاجتماعية. ففي مجتمعات هذا العصر تعتبر التنمية الاجتماعية, أحد الصور التي تدل على تطور المجتمع وتقدمه. فالمفاهيم الاجتماعية حول الفرد ودوره، وعلاقة الزوج بالزوجة، ودور الأسرة، ومكانة المرأة وإسهامها في خدمة المجتمع، وتعليم الفتاة، وغيرها ينبغي أن تتطور بما يتلاءم و متطلبات العصر، لذلك فإن تطوير المفاهيم الاجتماعية حول عديد من القضايا الاجتماعية, يعتبر أساسياً و ضرورياً عند كل فئات المجتمع, ومحاربة الأمية هو أحد المساعي.

5- الإسهام بالتنمية الاقتصادية بأبعادها المختلفة, الصناعة والزراعة والتجارة. تتطلب تطوير الأدوات والأساليب التقليدية التي سادت في المجتمعات النامية عقوداً طويلة, والأخذ بالأجهزة المتطورة في الصناعة والزراعة بالإضافة إلى الأساليب والطرائق الجديدة, لتحسين نوعية الإنتاج الصناعي والزراعي, ليتمكن المجتمع من التحول من مجتمع تقليدي يعتمد على الوسائل البدائية إلى مجتمع حضاري, متجاوب مع متطلبات العصر، وهذا التطور يحتاج إلى أفراد متحضرين بأدوات ومتطلبات الحضارة, الأمر الذي يؤكد ضرورة الاهتمام بمحو الأمية بكل أنواعها, واكتساب المهارات المتطورة التي تستطيع التعامل مع الأجهزة والآلات الحديثة، ومن هنا فإن محاربة الأمية تعتبر عملية ضرورية في إحداث التنمية الاقتصادية للمجتمع, خاصة فيما يتعلق بمحاربة الأمية الوظيفية للعمال والموظفين، وتزويدهم بالمعارف والتقنيات التي تتطلبها حاجاتهم ومتطلباتهم المهنية.

6- ولكي يتمكن أفراد الفئة الأمية من القيام والمساهمة في تنمية الاجتماعية, ينبغي الوقوف على الخصائص النفسية والاجتماعية للمتعلمين من هذه الفئة في إطار محو الأمية, ودراسة دوافعهم

واتجاهاتهم من أجل تعزيز هذه الدوافع والاتجاهات لكي يستمروا في تنمية قدراتهم من خلال برامج محو الأمية وتنمية الدافعية لذلك, حتى يتحقق استمرارهم ويشجع غيرهم على الالتحاق بأقسام محو الأمية.

7- فالإنسان قد يتهيب من الإقدام على الانضمام إلى أقسام محو الأمية لاعتبارات اجتماعية أو نفسية تنتج من الأفكار السلبية التي تراوده لاعتقاداته حول نظرة المجتمع إليه, مما يسبب له بعض المشكلات التي تصعب من التحاقه أو اندماجه في الوسط التعليمي الخاص بمحو الأمية, ومن هذه المشكلات، المشكلات الانفعالية والخجل والتهَّيب ونقص الثقة بالنفس والخوف من الفشل, لذلك ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن عملية التعلم عند الكبار تتحكم فيها عدة اعتبارات معقدة ومتداخلة، ويرتبط الإقدام على التعلم بمستوى طموحه واستعداده وإدراكه لأهمية العملية ولو على مستواه, فأهمية محو الأمية تنطلق من أهمية تنمية المجتمع التنمية الشاملة في كافة المجالات، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، التي لا يمكن بلوغها بدون سلوك طريق التعليم والتعلم، وهناك ترابط وثيق بين التنمية الاجتماعية وطلب العلم. ومحو الأمية هو جزء من أجزاء التنمية الاجتماعية, كما أنه جزء من العملية التعليمية, ويمكن معرفة أهمية محو الأمية من خلال معرفة أهمية العلم ومعرفة أهمية التنمية الاجتماعية, ونذكر بعض ذلك في النقاط التالية:

أ- أهمية التعليم في التوعية الاجتماعية والثقافية لأفراد المجتمع.

ب- أهمية التعليم في فهم الواجبات و الحقوق نحو الأفراد و المجتمع.

ت- أهمية التعليم في الحفاظ على الجوانب الصحية والبيئية في المجتمع.

ث- أهمية التعليم في التطور والتقدم الاجتماعي للمجتمع وأفراده.

ج- أهمية التعليم في المحافظة على التماسك الأسري والاجتماعي.

ح- أهمية التعليم في زيادة التواصل الفكري والاجتماعي بين الأفراد والمجتمعات.

خ- أهمية التعليم في تطوير وتحسين الأداء الوظيفي للأفراد, في الوظائف والمهن والنشاطات المختلفة.

د- أهمية التعليم في فهم القضايا والمشكلات الاجتماعية, وفي معالجتها بطرق منهجية.

ذ- أهمية التعليم في التنمية الاقتصادية والسياسية.

ر- أهمية التعليم في التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة, ومعرفة المسائل والأمور الدينية.

خاتمة: ما تعرفه الجزائر من مشاكلات أصبح عائق كبير أمام تطورالمجتمع وتنميته, وخاصة مشكلة الأمية, التي تعتبر شلل لطاقات كبيرة من المجتمع, ولا تستطيع المعالجات الفردية أن تضع حلا لها, بل لابد من فعل جمعي, تشارك فيه كل مؤسسات المجتمع وخاصة الإعلامية والتربوية للتحسيس بالمشكلة. ورغم تعدد أسباب هذه المشكلة وكثرتها وتداخلها, إلا أن السبب الرئيس فيها كان هو الاحتلال الفرنسي, وبعد خروجه استمرت هذه المشكلة لأسباب متعددة, ورغم صعوبة القضاء على الأمية إلا أن التقليل منها ليس أمر مستحيل, من أجل علاجها نقترح ونوصي بما يلي:

1- دراسة مشكلة الأمية دراسة علمية معمقة, والبحث في الأسباب حسب خصوصية كل منطقة.

2- تحليل الأسباب والمسببات, ورفع التحدي بصورة جماعية, والبحث عن الحلول حسب الأسباب, وليس حسب الأعراض.

3- التحسيس بالمشكلة, فتغيير المشكلة لا يكون إلا بجهد جماعي, وتوحد جهود كل أعضاء المجتمع نحو نفس الهدف وسعيها الواعي والجماعي من أجل تحقيقه.

4- أن تتولى العملية قيادة متخصصة, وتسخر لها كل الإمكانيات خاصة وسائل الإعلام الجماهيرية, والمؤسسات التربوية.

5- إنشاء المكتبات وخاصة المدرسية, فالمكتبة من أهم العوامل في تطور المجتمع, خاصة إذا توفر فيها الكتاب القيم, والجو المناسب, حيث تصبح عامل جلب مهم للقراءة ونشر ثقافة حب الكتاب, وبالتالي تساهم في محاربة الأمية, حيث تعتبر المكتبة البديل عن المدرسة, بالنسبة للذين فقدوا الثقة في بيئة المدرسة, وللذين لا يجدون الجو الملائم للدراسة في البيت.

6- محاربة التسرب الدراسي, بالبحث في أسباب التسرب بدقة, وبتخفيف الأعباء الدراسية عن حتى لا يكون التسرب نتيجة لثقل الأعباء المادية على الأسر.

7- استعمال المساجد للتوعية ومحاربة الأمية, وربط واجب تعلم القراءة والكتابة بروابط دينية.

8- ربط تعلم القراءة والكتابة بحوافز مادية ملموسة في العمل أو ربطها بالترقية.

9- إعطاء مشكلة الأمية المزيد من الاهتمام, في جميع وسائل الإعلام الجماهيرية, وخاصة الإذاعات المحلية والجهوية.

10- كما نوصي من خلال هذا الدراسة, بإجراء بحوث ودراسات مجال المعالجة الإعلامية للمشكلات الاجتماعية وخاصة الأمية, التي يتسبب تزايدها في عرقلة التنمية الاجتماعية. بحوث يمكن أن يتحقق من خلالها نتائج مفيدة.

الهوامش:

1. مالك بن نبي , **القضايا الكبرى** , دار الفكر, ط1, دمشق ,1991 , , ص52 .
2. نفس المرجع , ص52.
3. نفس المرجع , ص53
4. نفس المرجع , ص57 .
5. نفس المرجع , ص54.
6. صلاح الفوال , **منهجية العلوم الاجتماعية** , عالم الكتب , القاهرة , 1982 , ص51 .
7. محي الدين صابر , **الأمية مشكلات وحلول** , المكتبة العصرية , لبنان ,1986, ص100.
8. فؤاد بسيوني , **مشكلة الأمية** , مركز الإسكندرية للكتاب , (د ط) , 1998, ص20 .
9. نفس المرجع , ص,ص 20.21.
10. فؤاد بسيوني , مرجع سابق , ص22.
11. منى سعيد الحديدي , سلوى إمام علي , **الإعلام والمجتمع** , الدار المصرية اللبنانية , ط2 , 2006, ص211 .
12. فؤاد بسيوني , مرجع سابق , ص22.
13. محمد محمد علي هندي عمارة , **مدخل إلى وسائل الإعلام وقضايا المجتمع** , دار العلوم والنشر والتوزيع , ط1 , القاهرة , 2009., ص18.
14. حميد الهاشمي , alhadhariya.net , 2011/01/04.
15. نبيل أحمد عامر صبيح , **دراسات وبح وث في محو الأمية وتعليم الكبار** , عالم الكتب , ط1 , القاهرة ,1980 .
16. رابح تركي , **مشكلة الأمية في الجزائر** , مكتبة الشعب , الجزائر , 1981 , ص15 .
17. دبلة عبد العالي , **الدولة الجزائرية الحديثة** , الاقتصاد والمجتمع والسياسة , دار الفجر للنشر والتوزيع , ط1 , القاهرة , 2004. ص 105.
18. لديوان الوطني للإحصائيات , معطيات إحصائية , رقم 33 , الجزائر , 1989 .
19. محمد عمارة , مرجع سابق , ص 20 .
20. نور الدين زمام , **القوى السياسية و التنمية , دراسة في علم الاجتماع السياسي** , ديوان المطبوعات الجامعية , (د.ط) , الجزائر , 2007 , ص 171 .
21. فؤاد بسيوني , مرجع سابق , ص20 .
22. محمد عمارة , مرجع سابق , ص18.
23. مجلة التربية , التسرب والتنمية , **الأسباب والدوافع** , العدد 99 , الجزائر , ديسمبر 1991 , ص107 .

24. LOUISE PENNAULT.ROTE ENFAANT ET L'ECOLE , POUR Résoudre LES Difficultés DE VOTRE ENFANT EN MILIEU SCOLAIRE l'Edition de hommes , canada . 1983 , p96.

25. صالح بن محمد آل رفيع العمري, **العود إلى الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية** , أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية , ط1, الرياض , 2002, ص 78 .

26. جون فيزي , **التعليم في عالمنا الحديث** , ترجمة : محمود الأكحل, دار الأفاق الجديدة , بيروت , بدون سنة , ص121.

27. محمد سلامة غباري , **الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين** , المكتب الجامعي الحديث , الإسكندرية , 1989, ص142.

28. حنان عبد الحميد العناني , **الطفل والأسرة و المجتمع** , دار الصفاء , ط1, الأردن , 2000 , ص93.

29. صالح بن محمد آل رفيع العمري , مرجع سابق , ص91.

30. احمد كامل احمد , عدلي سليمان , **المدرسة والمجتمع من منظور اجتماعي** , مكتب الأنجلوالمصرية , القاهرة , 1976, ص19 .

31. حنان عبدالحميد العناني , **طرق دراسة الطفل** , دار الفكر , ط1, عمان , الأردن , 2000, ص41.

32. محمد عمارة , مرجع سابق , ص20.

33. عبدالرحمن بن محمد عسيري , **تشغيل الأطفال والانحراف** , مركز الدراسات والبحوث , جامعة نايف العربية , ط1, الرياض, 2005,ص44.

34. محمد سلامة غباري , مرجع سابق , ص123.

35. محمد منير مرسي , **الإدارة التعليمية , أصولها وتطبيقاتها** , علم الكتب , (د, ط) , القاهرة , 1984, ص288 .

36. بلقاسم سلاطنية , سامية حميدي , **العنف و الفقر في المجتمع الجزائري** , دار الفجر للنشر و التوزيع , ط1 , القاهرة ,2008 , ص 102.

37. عبدالرحمان الملا , **الأوضاع الاقتصادية للمجتمع وعلاقتها بالتسرب المدرسي** , مجلة التربية , عدد99 , الجزائر , 1991 , ص110.

38. محمد عمارة , مرجع سابق , ص 20 .

39. عبدالرحمن بن محمد عسيري , مرجع سابق , ص37 .

40. جون فيزي , مرجع سابق , ص123 .

41. علي اسعد وطفة , علي شهاب , **علم الاجتماع المدرسي** , بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية, مكتبة الطالب , الكويت , 2003, ص85.

42. صالح بن محمد آل رفيع العمري , مرجع سابق , ص83.

43. الجريدة الرسمية : الأمر 76-35 المؤرخ في 16أفريل 1976 المتعلق بتنظيم التربية والتكوين ,1976 ص 534 .

44. المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي . مشروع تقرير اقتصاد المعرفة عامل أساسي في التنمية . الجزائر . ديسمبر2004 , ص48 .

45. تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي للتنمية البشرية, نفس المصدر السابق .

46. محمد عمارة , مرجع سابق , ص25 .

47. نفس المرجع . ص27 .

48. مالك بن نبي , مرجع سابق . ص27 .
49. دبلة عبد العالي , مرجع سابق , ص105.
50. نفس المرجع , ص105.
51. جريدة الفجر, 2010/9/8 .
52. رابح تركي , مرجع سابق , ص15 .
53. الديون الوطني للإحصائيات , معطيات إحصائية , رقم 33 , الجزائر ,1989 .
54. المنظمة العربية للتربية والعلوم , **الجهود المبذولة في ميدان محو الأمية** , الجزء الثاني , مصر,1992 .

55. مصطفى زايد , **التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر (1962-1982)** , مدخل سوسيولوجي جديد لدراسة التعليم والتنمية في المجتمعات السائرة في طريق النمو , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , 1984 , ص 106 .
56. ABD ERRAHMAN bouzaida : l'idéologie de l'instuteur, ALGER, SOND,1976,p11 .
57. O.N.S COLLECTION statistiques , N° 80, ALGER ,1999 ,P12 .
58. تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي للتنمية البشرية لسنة 2007, الجزائر, 2008/07/30.
59. جريدة الرائد, يومية إخبارية جزائرية , العدد : 241 , الجزائر , 2013/01/08.
60. محي الدين صابر , مرجع سابق , ص 20.
61. القرآن الكريم , **سورة الزمر** , الآية 9.